Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.33/ No.9/ 2025 المجلد ٣٣ / العدد ٩/ ٢٠٢٥

الحدث التاريخي بين الإخبار والوظيفة الجمالية: قراءة في نماذج من الشعر العربي القديم

هيفاء الحسن

قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل/ المملكة العربية السعودية

halhasan@iau.edu.sa

تاريخ استلام البحث: ٢٨/ ٤/ ٢٠٢٥ **تاريخ قبول النشر:** ٢٧/ ٥ /٢٠٢٥ **تاريخ نشر البحث:** ٢٧/ ٩/ ٢٠٢٥

المستخلص

يحدد البحث فرضه العلمي ورؤيته النقدية، فيرى أن الشعراء يشكلون مادتهم الشعرية من التاريخ، ويصوغون الحدث التاريخي فنياً ويحملونه رؤية خاصة تتجاوز الإخبار إلى تحقيق وظيفة جمالية، تحمل أبعاداً إنسانية رحبة، ويطبق هذه الرؤية لاختبار فرضه العلمي على دراسة القصائد التي يشكل التاريخ لحمتها وسداها، ويحللها في سياقاتها المختلفة.

يحيل الشعر في كثير من القصائد إلى أحداث تاريخية، وإلى شخصيات تجسد أحداثاً، فيجعلها الشاعر خلفية للموقف الشعوري الذي يعبر عنه، مبتعداً عن التسجيل والإخبار إلى أشكال تعبيرية جمالية، فيخضع الحدث لمنطقه الداخلي، ويسرد الأحداث وفق رؤية جمالية تربط الحدث بالسياق الإنساني بتحويل المعرفة إلى رموز ودلالات، تؤسس القيم التي تحكم المجتمع والثقافة، وليس وفق رؤية المؤرخ التي تنظر إلى الحدث على أنه آني غير قابل للتكرار.

يدرس البحث التجسيد الشعري للتاريخ فنياً، إذ إن كثيراً من القصائد العربية تتكئ على خلفية تاريخية وتكوّن علاقة فكرية تربط الإنسان بمحيطه، وتقدم معرفة مشفرة بالرموز، منفلتة من القيود والمحدودية. فالقصيدة قد تكون متزامنة مع الحدث، تعبر عنه، وتبين تأثيره في النفس، وكيف انعكس التاريخ في الأدب فنياً، كم يمكن أن تكون القصيدة نبش في التاريخ، وهنا تتجلى الأهمية في تسليطه الضوء على المعرفة المستفادة من التاريخ، وتوظيف الحدث في الشعر توظيفاً فنياً سمح بالدمج بين المحتوى الدلالي الذهني والحدث التاريخي الذي يتحقق وجوده بإحالة مكثفة على مضامين لا تدركها العين المجردة.

الكلمات الدالة: الشعر، التاريخ، الحدث، الوظيفة الجمالية، الإخبار.

The Historical Event between Narration and Aesthetic Function: A Case Study of Selected Classical Arabic Poems

Haifa Al-Hassan

Department of Arabic Language/ College of Arts/ Imam Abdulrahman Bin Faisal University/ Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This study outlines its hypothesis and critical perspective, asserting that poets draw upon historical material to shape their poetry, artistically reconstructing historical events and infusing them with a vision that transcends mere narration to achieve an aesthetic function with broad human dimensions. The paper applies this perspective to analyze poems fundamentally rooted in history, examining them in diverse contexts.

Poetry often refers to historical events and figures, using them as a backdrop for the poet's emotional stance. Rather than simply recording events, poets adopt expressive, aesthetic forms. The event is shaped

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

by internal poetic logic and narrated through linking it to a broader human context. This is achieved by transforming knowledge into symbols and meanings that shape societal and cultural values, unlike the historian's view of events as unique and unrepeatable.
The study explores how poetry artistically renders history, showing how many classical Arabic poems rely on historical backdrops to establish intellectual ties between individuals and their environment. These poems convey encoded knowledge through symbolism, free from constraints. A poem may coincide with an event, expressing its emotional impact and reflecting how history is artistically mirrored in literature. It may also act as a historical search. In both cases, the poem reveals insights drawn from history and artistically employs events to merge abstract meaning with historical experience brought to life through concentrated references to subtle themes beyond the visible.

Keywords: poetry, history, event, aesthetic function, narration.

١. المقدمة

تعرّف المادة التاريخية بأنها "حكاية عن الماضي، أو مجموعة الأحداث والوقائع الإنسانية التي مضت وانتهت؛ لكنها قابلة للتحول والتفسير والتأثير، وهي أحداث ووقائع تترك بصماتها وآثارها في الحاضر والمستقبل، وتسهم في تشكيل السلوك الإنساني عامة والفعل الإبداعي ومنه الأدب خاصة"[١٤٥:١]. وتتحدد علاقة الأدب بالتاريخ بالإخبار والرواية والقص الفني وذكر الشخصية التاريخية التي تكتنز حدثاً كبيراً؛ فكتب التاريخ تورد الحدث التاريخي، وتستدل على الحدث بأشعار تبين انعكاس الحدث في نفس الشاعر، فيعيد تشكيله وفق فنية الشعر.

وقد شكلت الأحداث المفصلية في تاريخنا محطات مهمة في تاريخنا، وكان لها وقعاً لدى الشعراء، فأعادوا صياغتها، وحددوا موقفهم منها، فعندما ينقل الخبر إلى الأدب، يعيد تشكيله، ويعبر عنه.

إن وظيفة المؤرخ أن يحكي (ماذا حدث) والحكي والرواية جزء أساسي في الشعر، والشعراء يعيدون تصوير الحدث من حيث توظيفه جمالياً. ولعل «أرسطو» أول من عالج هذه العلاقة في كتابه «فن الشعر»، عندما قارن بين الملحمة والتاريخ، إذ أطلق على الملحمة لفظ «المحتمل» وجعل الشعر رديفاً لها، وأطلق على التاريخ لفظ «الواقعي»، وهذا في قوله: «إن المؤرخ والشاعر لا يختلفان بكون أحدهما يروي الأحداث شعراً والآخر يرويها نثراً، فقد كان من الممكن تأليف «تاريخ هيرودوتس» نظماً، ولكنه سيظل مع ذلك تاريخاً، سواء كتب نظماً أو نثراً، وإنما يختلفان من حيث كون أحدهما يروي الأحداث التي (وقعت فعلا)، بينما الآخر يروي الأحداث التي (يمكن أن تقع)، ولهذا كان الشعر أوفر حظاً من الفلسفة وأسمى مقاماً من التاريخ، لأن الشعر يروي الكلي بينما التاريخ يروي الجزئي"[٢٦:٢].

فالتاريخ عند أرسطو، هو الخبر الذي يروي الأحداث التي وقعت في الماضي من غير تحليل الفكر المحرك لها، وقد يرويها نظماً أو نثراً، أما الشاعر فهو يستشرف الحدث الذي يمكن أن يقع، فالفرق بينهما في التعبير عن الحدث الواقع، أو ما يمكن أن يقع، وكأن أرسطو يخص الشاعر بالقدرة على التنبؤ بما قد يمكن أن يحدث فيما بعد، ولذلك فقد جعل الشعر بفضل قدرته هذه أسمى من الفلسفة وأعلى مرتبة من التاريخ؛ لأنه في نظره، يعبر عن الكلي، والكلي بالمعنى الذي حدده أرسطو أسمى من الجزئي.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وإذا كان أرسطو قد جعل الشعر أسمى من التاريخ وأوفر حظاً من الفلسفة، فإن الفكر العربي قد رفع كثيراً من شأن الشعر، إذ جعل الشعر مصدراً معرفياً مهماً عند العرب، فهو ديوانهم وسجل مفاخرهم، فقد " كان علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه" [٣:٢٤-٢٥]، إذ احتوى على معارف كثيرة، ووصف على أنه " معدن علم العرب وسفر حكمتها، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصام"[٤:١٨٤-١٨٥]. فـ "أفضل من كان به أمهر، وحظه فيه أوفر، وهم العرب الذين جعلوه ديوانهم الذي به يحفظون المكارم والمناسب، ويقيدون به الأيام والمناقب، ويخلدون به معالم الثناء، ويبقون به مواسم الهجاء، ويضمنّونه ذكر وقائعهم في أعدائهم ويستودعونه حفظ صنائعهم إلى أوليائهم"[٥]، ولذلك غدا الشعر سجلاً معرفياً، يستقي منه المؤرخون مادتهم دليلاً على حدث ما، وبعد ذلك أصبح رديفاً مهماً في قراءة التاريخ. فانضواء الحدث في الشعر يعد زاداً معرفياً يجعله نابضاً بالحياة.

فالشعر يعمل على تعزيز الحدث التاريخي برفد الحدث بموقف واضح. وبذلك يكون للقصيدة دور في قراءة الحدث وتفسيره، وإعادته، فينتج عن ذلك خطاب يحمل سمات التاريخ والشعر، فالعرب عندما خاضوا أيامهم وحروبهم، فإن الشعر كان وسيلتهم في تخليدها ورفدها بمواقف وتعبير جمالي تخييلي.

ولعل المطَّلع على كتب التاريخ، يجد كثيراً من الأبيات الشعرية، بما يؤكد الوعي التام للعلاقة الوثيقة بين الشعر والتاريخ من ناحية، والتدليل على صحة وقوع الحدث، أو تأكيده أو تفسيره. وكثيراً ما يورد الشاعر اسم شخصية تاريخية تختصر حدثاً، فيقوم الشاعر بذكر الشخصية في موقف يخدم رؤيته وموقفه، فينفتح الكلام على الحدث من بؤرة الشخصية.

ونتبع في دراستنا المنهج التاريخي القائم على جمع المادة التاريخية مع الاستفادة من الوصف والتحليل الذي يصف الحدث ويحلل مقولاته.

أما أسباب اختيار الموضوع فتتعلق بأهمية الدراسات البينية؛ إذ وجدنا في تعالق الأدب مع التاريخ في الشعر القديم مجالاً رحباً للكتابة، ولاسيما أن كثيراً من النقاد المحدثين يرون أن هذه المسألة حكراً على الشاعر المعاصر، ولذلك سنثبت قدرة الشاعر القديم على تفتيت الخطاب التاريخي وتحويله إلى خطاب أدبي.

وتتحدد إشكالية البحث في مدى نجاح الشاعر العربي في التعبير عن الحدث التاريخي، وتوظيفه توظيفاً جمالياً، وتثير هذه الإشكالية عدداً من الأسئلة، لعل من أهمها:

- كيف تفاعَلَ الشُّعراء العرب مع التاريخ في نصوصهم الإبداعية؟
- إلى أي مدى استطاعت القصيدة العربية التعبير عن الأحداثِ التَّاريخية التي سبقته أو عاصرته بفنية عالية نقلت الحدث من الإخبار إلى تأدية وظيفة جمالية؟
- هل وُفقَ الشعراء العرب في إبداع قصائد، اتخذت مادتها من التاريخ؟
- هل نجح الشاعر في توظيف الحدث التاريخي فنياً وجمالياً.

ويتحدد إطار البحث في الإجابة عن هذه الأسئلة بدراسة نماذج شعرية توضح الدلالة المعرفية للتاريخ وتحولاتها في النص الشعري.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

كنْ كالسّموألِ إذْ سارَ الهمامُ له ... في جحفلٍ كسوادِ اللّيلِ جرّارِ
جارُ ابن حيّا لمنْ نالتهُ ذمتهُ ... أوْفَى وَأَمْنَعُ مِنْ جَارِ ابنِ عَمّارِ
بالأبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنــزِلُهُ، ... حصنٌ حصينٌ وجارٌ غيرُ غدّارِ
إذْ سامَهُ خُطّتَيْ خَسْفٍ، فَقالَ له ... مهما تقلهُ، فإنّي سامعٌ حارِ
فَقالَ: ثُكْلٌ وَغَدْرٌ أنتَ بَينَهُما، ... فاخترْ وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكّ غيرَ قليلٍ، ثمّ قالَ لهُ: ... اذبحْ هديَّكَ إني مانعٌ جاري

٢. أصول إيراد الحدث التاريخي في الشعر:

الصلة بين الشعر والتاريخ وثيقة لاتكاد تنفصم عراها، وقد عدّ العرب الشعر مصدراً للمعرفة، فكلاهما ينتميان إلى بؤرة معرفية واحدة، وهذا ماحدا ببعض الباحثين لأن يصف الشعر على أنه" تاريخ مخلق" [٦: ٢٤٥].

ويشكل التاريخ مرجعية ثقافية لدى الشعراء العرب، اختلفوا في توظيفها في شعرهم، وفق مؤدى الفكرة التي يريدون إيصالها ضمن تجارب إنسانية خالدة، وقد واكب الشعر العربي أحداث التاريخ، وأدخل في نسيجه أحداثاً سابقة ليس بغرض تقديم الشعري بدل التاريخي، ولكن بهدف تقديم خلاصة تجربة متكاملة وفق أسس فنية جمالية، وقد وجدنا باستقرائنا لنماذج من الشعر العربي أن الشاعر يلجأ إلى التاريخ في إبداعه الفني، فيستقي الأحداث والشخصيات، ويجعلها المادة الخام، التي يشكل منها فكرته التي تجسد رؤيته الإبداعية، بتحويل التاريخ إلى بنى نصية لا تقدم التاريخ على صورته الدقيقة، ولكن في الإطار العام للحقيقة التاريخية كي لايفقد مصداقيته، ولذلك عدّ الصدق التاريخي أداة لبعث قيمة معينة أو تكريس مفهوم ما، أو تجسيد مثل أعلى، وقد جعله ابن طباطبا أحد أنواع الصدق التي نص عليها فقال:" وعلى الشاعر إذا اضطر إلى اقتصاص خبر في شعره دبره تدبيراً يسلس له معه القول، ويطرد فيه المعنى، فيبني شعره على وزن يحتمل أن يحشى بما يحتاج إلى اقتصاصه بزيادة من الكلام يخلط به أو نقص يحذف منه، وتكون الزيادة والنقص يسيرين غير مخدجين لما يستعان فيه بهما، وتكون الألفاظ المزيدة غير خارجة من جنس ما يقتصه، بل تكون مؤيدة له وزائدة في رونقه وحسنه كقول الأعشى فيما اقتصه من خبر السموأل [٧: ٧٣]، يقول الأعشى [٨:٢١-٢٥]:

ويبين ابن طباطبا جمالية الحكاية في الشعر من حيث انسياب الكلام، وتناسق، والأهم صدق الرواية وتمام المعنى، فيقول: "ثم انظر إلى استواء هذا الكلام، وسهولة مخرجه، وتمام معانيه، وصدق الحكاية فيه، ووقوع كل كلمة موقعها الذي أريدت له، من غير حشو مجتلب، ولا خلل شائن، وتأمل لطف الأعشى فيما حكاه واختصره في قوله:

أأقتلُ ابْنَكَ صَبْراً أوْ تَجيءُ بِهَا، فأضمر الهاء في قوله: " واختارَ أدراعهُ أنْ لا يسبّ بها" فتلافى ذلك الخلل بهذا الشرح، فاستغنى سامع هذه الأبيات عن استماع القصة لاشتمالها على الخبر كله بأوجز كلام، وأبلغ حكاية وأحسن تأليف وألطف إيماء" [٧: ٧٥-٧٦].

وتذكر كتب التاريخ الحدث على الوجه الآتي" ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شمر الغساني إلى السموأل بن عادياء، وطالبه بأدرع امرئ القيس وكانت مائة درع وبما له عنده فلم يعطه فأخذ الحارث ابناً

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

للسموأل، فقال إما أن تسلم الأدراع وإما قتلت ابنك فابى السموال أن يسلم إليه شيئاً فقتل ابنه فقال السموأل في ذلك[٩: ٤٠٥]:

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ما ذم أقوام وفيت

وأتى بالقصة صاحب تحرير التحبير مثالاً على الإيجاز وهو اختصار ألفاظ المعاني "ليأتي الكلام وجيزاً من غير حذف لبعض الاسم، ولا عدول عن لفظ المعنى الذي وضع له ... ومثاله أن يقتص المتكلم قصة بحيث لايغادر منها شيئاً، في ألفاظ قليلة موجزة جداً، بحيث لو اقتصها غيره مما لم يكن في مثل طبقته من البلاغة، أتى بها في أكثر من تلك الألفاظ ... وقد رأيت أكثر العلماء على تقديم الأعشى في اقتصاصه قصة السموأل في أدراع امرئ القيس الشاعر التي أودعها عنده لما قصد قيصر، ووفاء السموأل بها حتى سلمها لأهل امرئ القيس وبذل دونها دم ولده وهو يشاهده ... فانظر كيف أغنى الأعشى عن تحفظ القصة بطولها من يريد حفظها بهذه الأبيات استوعبها فيها مع ما انطوت عليه ألفاظها التي خرجت كلها مخرج الحقيقة من المدح للسموأل بالوفاء، ولابنه بالصبر على البلاء، والتحريض للممدوح على التخلق بمثل هذا الخلق، ليبقى له مثل هذا الذكر"[١٠:٤٥٩-٤٦٠]. واستشهد بها بروكلمان في معرض حديثه عن الوحدة المستقلة والترتيب المتكامل للقصائد العربية، فقال" وأما محاولة الأعشى إنشاء شعر القصة البالاد la ballade واختراع أسلوب الملحمة في إشادته بوفاء السموأل فقد بقيت عملاً فذاً لم ينسج أحد على منواله" [١١:٦٢].

فالشاعر حافظ على الإطار العام للحدث، وأعاد صياغته فنياً ليؤدي وظيفة جمالية قادرة على إقناع ابن السموأل متكئاً على تاريخ والده، مستحثاً إياه ليكون مثل أبيه على علمه بالحدث ولكنه أراد التذكير به ليحقق هدف التأثير فيه ليحفزه على مساعدته في الظفر بحريته، فذكره بما كان عليه والده، والشاعر هنا أجرى تحويلا من التاريخي إلى الفني عبر الصياغة الفنية، وتحميل الحدث وجهة نظره، فجعل الحدث الأول إطاراً للثاني وأجرى القول فيه مكرساً القيم الأخلاقية الفنية التي أرادها.

إن قصيدة الأعشى كانت نتاج حدثين تاريخيين، شكلا إطاراً لخياله الذي تحرر من إسار الحقيقة المجردة إلى صياغة فنية محكمة حققت وظيفتي الإمتاع والتسجيل في آن واحد، وقد تجلى هذا بالتعبير الدقيق عما اعترت نفس السموأل إزاء نوازع النفس بين الوفاء والثكل، وهذا من نتاج المخيلة الخصبة. فعبر عن أخلاق السموأل وقيمة الوفاء وأمنيته في أن يسير الأبن مسيرة الأب في تمثيله العالي للقيمة الأخلاقية، والأعشى على فنية قصيدته وجودتها كانت رجع صدى للحدث.

فالشاعر عندما أدخل الحدث التاريخي في لغة الشعر أضفى عليها الحياة، ففككها، وحررها من قيد أحكام التاريخ، وقدمها بشكل يؤدي غرضين في آن معاً، وهما: الإمتاع والحقيقة النابعان من معايشته الحميمة للحدث، فقدم لنا الحدث والموقف منه، وكشف الموقف من الغدر والوفاء، وهي الحقيقة الأكثر اتصالاً بحياة الناس في ذلك الوقت، لأن العرب كانت تأنف من الغدارين، وترفع لهم راية في أسواقها ليتجنبهم الآخرون.

وكان من سنن العرب في الجاهلية إذا غدر الرجل منهم، أن يرفعوا له لواء في المواسم الكبرى، ولاسيما في مجمعهم في سوق عكاظ ليفضحوه وليحذروا منه ومن التعايش معه.[١٢:٢٧]. وهذه عادة انفرد بها العرب وذلك باتباع طريقة في محاربة الغدر، وذلك برفع راية الغدر للغادر كي يتجنبه الناس فلا يصاهرونه ولا يجالسونه ولا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يسمعون منه، ويجعل الغادر في رمح وينصب في عكاظ فلعن ورجم. وبالمقابل ترفع راية الوفاء لمن كلفته المغارم ثم مضى فيها ولم ينكص. ومن أتى عملاً شائناً تأباه مروءة العربي تنصب له راية غدر، فعرفوه فلعنوه واجتنبوه [١٣:١٦٤]. وإلى هذا أشار قطبة بن أوس المازني، يسأل حبيبته سمية إن كانت سمعت بغدره له، تطعن به [١٤:٢٧٤]:

أَسُمَّيَ وَيْحَكَ هل سمعتِ بِغَدْرَةٍ ... رُفِع اللِّوَاءُ لنـَا بها في مَجمعِ
إِنَّا نَعِفُّ فلا نـُريبُ حَلِيفـَـنَا ... ونكُفُّ شُحَّ نُفوسنا في المَطْمَعِ
ونَقِي بِأَمنِ مَالنـَا أَحسابـَنـا ... ونُجِرُّ في الهَيْجا الرماحَ ونَدَّعِي
ونَخُوضُ غَمْرَةَ كلِّ يومٍ كَرِيهةٍ ... تُرْدِى النُّفوسَ وغُنْمُها لِلأَشْجَـعِ
ونُـقيمُ في دارِ الحِفاظِ بُيُوتَنـا ... زَمناً، ويَظْـعَنُ غَـيْرُنا لِلأَمْرَعِ

ولقي زرعة بن عمرو بن خويلد النابغة بسوق عكاظ، فأشار عليه أن يشير على قومه بقتال بني أسد وترك حلفهم، فأبى النابغة، فبلغه أن زرعة يتوعده فقال [١٥:٥٥]:

نَبِئتُ زُرعَةَ وَالسَفاهَةُ كَاسِمها ... يُهـدي إِلَيَّ غَـرائِبَ الأَشعارِ
فَحَلَفتُ يا زُرعَ بنِ عَـمروٍ أَنَّني ... مِمّا يَشُقُّ عَلى العَدوِّ ضِراري

ولم يخضع النابغة للتهديد، بل التزم الوفاء، وشهّر بمن يريد أن يحمله على الغدر في سوق عكاظ ليدرك عاره كل مَن في سوق عكاظ.

٣. الحدث بين الإخبار والوظيفة الجمالية

يمتح الشاعر مادته من التاريخ، ولكن ليس مقصده التأريخ، بل مقصده إبراز فكرة ما، فتأتي حينئذ الأخبار والأحداث عرضاً، ولكن الصورة العامة للفكرة لاتتوضح إلا عبرها.

ففي حرب البسوس الذي قتل فيها كليب، تقدم كتب التاريخ صوراً من مآسيها عبر رواية أخبار تبين عظم أثر مقتل كليب في نفس أخيه، الذي أخذ يتوعد بالثأر[١٦:١٥٠].

فإذا كانت الوثيقة التاريخية، قد قدمت لنا أسباباً لمقتل كليب في سياق اجتماعي ونفسي خاصين، فإن الشعر المعبر عن أثر ذلك الموقف، قد كشف عن آثار هذه الحرب النفسية. فبكاء المهلهل أخاه كليبا يبرز مدى عمق الأثر الذي خلفه هذا الحادث في نفسيته ومن ذلك قوله [١٧:٢١-٢٢]:

أن في الصدر من كُلَيْب شجونا ... هَاجِسَاتٍ نَكَأْنَ مِنْهُ الْجِـرَاحَا
أَنْكَرَتْـنـِي حَلِيلَتِي إِذْ رَأَتْـنـي ... كاسفَ اللونِ لاَ أُطيقُ المزاحا
يَا خَلِيلَيَّ نَادِيَا لِـي كُلَيْـبـاً ... وَاعلما أنهُ ملاقٍ كـفاحـا
يَا خَلِيلَيَّ نَادِيا لِي كُلَيْـبـاً ... وَاعْلَمَا أَنَّهُ هَائِـمـاً مُلْتَاحَا
يَا خَـلِيلَيَّ نَادِيَا لِي كُـلَـيْـبـاً ... قبلَ أنْ تبصرَ العيونَ الصباحا
ويحَ أمي وَويحهـا لقـتـيلٍ ... مِنْ بـَنِي تَغْلِبٍ وَوَيْحاً وَوَاحَا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يَا قَتِيلاً نـَـمَـــاهُ فـَـرْعٌ كرِيـــمٌ فقـــــدهُ قدْ أشابَ مني المساحا
كيفَ أسلو عـــنِ البكاءِ وقومي قـــــَدْ تَفَانَوْا فَكَيْفَ أَرْجُو الْفَلاَحَا

ونذكر في هذ السياق حدثاً مهماً وهو حرب داحس والغبراء، هذه الحرب التي دامت ردحاً طويلاً من الزمن يقدر بأربعين عاماً، وقد ذكرت كتب التاريخ سببها بأنّ فرساً غلب فرساً آخر في سباق الجري، حيث بدأ سباق ورهان بين الفرسين؛ داحس والغبراء، وأجرى هذا السباق سيدا عبس وذبيان؛ وهما: قيس بن زهير، وحذيفة بن بدر، وكان من المتوقع أن يكون الفوز حليف داحس، ولكنّ رجلاً من ذبيان وضع لداحس كميناً ونفّره، ممّا جعله يعدل عن طريق الفوز، فساعد ذلك فرس الغبراء بالفوز في السباق، ونتيجةً لذلك رفض قيس الاعتراف بهذا السباق، وطلب الرهان المضروب، ونشب صدام بين الفريقين، وبالتالي بدأت هذه الحرب الطويلة بينهما، وسُميت باسم هذين الفرسين[٩:٤٤٩-٤٥٣]. والشاعر الجاهلي أبو جعدة الفزاري وظف الحدث وما تجاذبه من لجاج كان نذير حرب ضروس محذراً من حرب تلوح في الأفق، فخرج على القوم ساعة الرهان وأول السباق وابتداء اللجاج على السبق، ودعا للتوقف عن اللجاج في الرهان، لأنه يورث الشرور، إذ لانهاية لهذا اللجاج؛ فكل طرف يزعم لنفسه الحق في السبق فقال[٩:٣٤٦]:

آل بـــدرٍ دعـــوا الرّهان فإنـّـا قد مللنا اللجاجَ عند الرهانِ
ودعوا المرء في فزارة جـــاراً إنّ ما غاب عنكم كالعيـــــان
ليت شعري عن هاشم وحصين وابن عوف وحارث وســـنان
حين يأتيهم لجاجـــــك قـــيساً رأي صاحٍ أتيت أم نشـــــوان

ففي الأبيات مخاوف من حرب آتية، مبدؤها اللجاج، لذا فالشاعر يحذر من مآلات السبق، وهو أراد التحذير ولم يرد بيان سبب الحرب، ومع ذلك كانت الإشارة التاريخية تحيل على الحدث. فالمؤرخ أورد الشعر ضمن التأريخ للخبر لعلمه بأهمية توثيق الخبر في الشعر، فكان لقوة الكلمة دور أساس في تسجيل الحدث. فالشعر لجأ إلى ذكر ما خفي من أسباب تقف وراء الحدث، وهو الكلام الذي أوقد جذوة الحرب، فأظهر بذلك خطورة الكلمة، وتأثير وقعها في النفس، وهذا مايقصر التاريخ عن ذكره.

وفي مسألة الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان، يبرز اسم الشاعر زهير بن أبي سلمى، الشاعر الحكيم الذي داعبته فكرة السلم ومنظومتها الفكرية، فوجد في سيدي بني مرة هرم بن سنان والحارث بن عوف بطلي فكرة السلام التي دافع عنها الشاعر خير من يمثل فكرته، فمدحهما بمعلقته لأنهما حقنا دماء عبس وذبيان، وهو لم يقصد التأريخ، وإنما ورد التاريخ عرضاً ليخدم فكرة السلم البهية، فتوارت وظيفة الإخبار وتسجيل الوقائع، وبرزت الوظيف الجمالية لها بتوظيفها بصورة فنية تخدم رؤية الشاعر الخاصة.

لقد كان التاريخ لدى زهير وسيلة فنية لذلك لجأ إلى فنون البيان ليورده بصورة مكثفة في معلقته، فأضفى عليها بهاء وجمالاً، وجعلها في موقف وسط بين الحرب والسلام بين الحياة الجديدة والحياة القديمة، كما هي الحياة الراهنة لديه تناوشها فكرة الحب والسلام. فحضر التاريخ فنياً كما في قوله [١٨: ١٠٣]:

تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِـــنٍ تَحَمَّلْـــنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ
جَعَلْنَ القَـــنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَـــهُ وَكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِـــلٍّ وَمُحْرِمِ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يتبدى التاريخ مدثراً بحديث الظعائن العامر بالأسرار، فهل كان هدفه وصف الظعائن؟ أم أراد أن يوجه رسالة للمجتمع؟ لقد أراد زهير أن يوجه رسالة إلى مجتمعه بدأها بالفعل تبصر، وفي الفعل دعوة لتجاوز الرؤية البصرية إلى التأمل والتفكر في تلك الحرب التي تتهدد الحياة، لذلك كان انتقال الظعائن من جرثم وهي ماء لبني أسد إحدى القبائل المشاركة في الحرب، وهي رمز الحياة القديمة إلى حياة جديدة [١٨: ١٠٥]:

فَلَمّا وَرَدنَ الماءَ زُرقاً جِمامُهُ وَضَعنَ عِصِيَّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ

لا يعكر صفوها شيء. ولكن في هذه الرحلة تنكبت الظعائن جبل القنان [١٩:٤٠١]، فلماذا انحرف الشاعر إلى حديث لا علاقة له بالظعائن؟ إن الانحراف يحمل دلالة تتجاوز الجغرافيا إلى التاريخ، فقد ذكر الإخباريون أن بعض من خرج على الصلح بين عبس وذبيان تحصنوا بالجبل، فجاء توظيفه هنا رمزاً لما يهدد السلم والحياة الآمنة، لذلك بلغت الرحلة منتهاها، وألقت الظعائن عصا الترحال. فالحضور التاريخي لم يكن اعتباطياً، وإنما لخدمة غرض فني.

ويتجلى كذلك التوظيف الجمالي للتاريخي في قوله في أثناء حديثه عن الحرب وصورها المخيفة [١٨: ١٠٧]:

فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

فلم يكن الغرض الوقوف على أحمر عاد أو ثمود من حيث المادة التاريخية وإنما بهدف التنفير من الحرب وأنه مصدر الفناء، وللناس العبرة بما جر ذبح ناقة صالح لقوم عاد، فالشاعر ليس معنياً بالتاريخ ولكن الفكرة لا تتضح إلا بالعودة إليه عبر التأمل والتفكر في المصير، لذلك كان الحضور التاريخي خادماً للجانب الفني، وبمجرد ذكر أحمر عاد يحيلنا الشاعر على تداعيات أخرى تدفعنا للبحث في التاريخ في أخبار عاد وثمود والأحمر قيدار عاقر الناقة الذي تسبب في هلاك قومه. فما تنتجه الحرب هو غلمان شؤم.

وقد أجاد المتلمس الضبعي في استخدام التاريخ لخدمة الفن، وزاوج بين الفني والتاريخي في التعبير عن حنينه إلى العراق الذي حرِّم عليه بسبب هجائه عمرو بن هند ملك الحيرة، وفي الخبر التاريخي يذكر أن المتلمس عاش " بعيداً عن وطنه العراق يتنازعه حنين إلى وطنه، ويرده عن هذا الحنين إباء من أن يذل لرجل أقسم على حرمانه مما تجود به أرض العراق، وأنفة من أن يعيش في ظل ملك ظالم غادر يبطش بكل القيم، ولا يراعي الحرمات والذمم" [٢٠]، ويذكر الشاعر هذ الحدث في شعره على النحو الآتي في معرض خطاب ناقته [٢٠: ٨٥-٩٣]:

حَـنَّتْ إلى نَـخلَةَ القُـصـوى فَقُلتُ لَها بَـسلٌ عَليكِ أَلا تِـلكَ الدَهـاريسُ
لَن تَـسلُكـي سُـبُلَ البَوباةِ مُـنـجِـدَةً ما عاشَ عَمـرٌو وَما عُمِّرتَ قابوسُ

فالشاعر يسقط عواطفه على ناقته فيلومها على حنينها إلى العودة إلى نخلة القصوى ويقصد محلة في العراق، فالديار التي تحن إليها ينتظره فيها الموت، ثم يكشف في البيت التالي عن سبب لوم الناقة وهو أن عمرو بن هند وأخاه قابوس مازالا على قيد الحياة، فالحنين مؤجل إلى حين وفاتهما، ولعل في هذا ما يشي بسيرة الملك المتجبر عمر بن هند، وما حملته الأخبار التاريخية عما اتصف به من رعونة.

ويسجل الأعشى في شعره أول انتصار للعرب على الفرس في معركة ذي قار بقصيدة يفخر بها بما آلت إليه المعركة، فكانت القصيدة خطاباً حول الحدث مقترنا بطبيعة الصراع وما لازمه من أحداث، الأمر الذي أضفى

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

على التاريخ قوة مضافة لها تأثير في النفس، وقد أورد الطبري الخبر في تاريخه بقوله:" ويوم ذي قار يوم انتصفت به العرب من العجم" [٢١: ٢١٤]. يقول الأعشى [٨: ١٩٥-١٩٧]:

وَجُندُ كِسرى غَداةَ الحِنوِ صَبَّحَهُم ... مِنّا كَتائِبُ تُزجي المَوتَ فَانصَرَفوا
جَحاجِحٌ وَبَنو مُلكٍ غَطارِفَةٌ ... مِنَ الأَعاجِمِ في آذانِها النُطَفُ
إِذا أَمالوا إِلى النُشّابِ أَيديَهُم ... مِلنا بِبيضٍ فَظَلَّ الهامُ يُختَطَفُ
وَخَيلُ بَكرٍ فَما تَنفَكُّ تَطحَنُهُم ... حَتّى تَوَلّوا وَكادَ اليَومُ يَنتَصِفُ
لَو أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كانَ شارَكَنا ... في يَومِ ذي قارَ ما أَخطاهُمُ الشَرَفُ

فالأعشى يشرح سبب النصر العربي، ويحدد موقفه من الحدث، ويصف عواطف المنتصر والمهزوم، فكانت قصيدته أشبه بملحمة خلدت الحص وجسدت أصداءه في الذات الشاعرة. إن التاريخ سجل المعركة بكل تفاصيلها، واكتفى الشعر بوصف آلية النصر، فكانت المسافة بينهما مسافة جمالية انتقلت بالحدث من الواقع إلى التخييل.

ويشكل الشعر مرجعية للمؤرخ تعينه على سردية الخبر، لتمكّن الشاعر في ترتيبها وفق مرجعيات دينية، فالشاعر أمية بن أبي الصلت أعاد سردية الفداء، فأورد شعراً بين فيه السبب، الذي حدا بنبي الله إبراهيم – عليه السلام – لأن يذبح ابنه، وأن ذلك كان من نذر إبراهيم، فأمره الله بالوفاء بالنذر، يقول أمية بن أبي الصلت:[٢٢: ١٠٨-١٠٩]

ولإبراهيمَ الموفّيَ بالنذ ... ر لإحساباً وحامِلِ الأجزالِ
بِكرَهُ لَم يَكُن لِيَصبِرَ عَنهُ ... لَو رآهُ في مَعشَرٍ اقتتالِ
أَبَنِيَّ إِنّي نَذَرتُكَ لِلَّـ ... ـهِ شحيطاً فَاصبِر فِدىً لَكَ خالي
فأَجابَ الغُلامُ أَن قالَ فيهِ ... كُلُّ شَيءٍ لِلَّهِ غَيرُ انتحالِ
أَبَتي إِنَّني جَزَيتُكَ بِاللَّـ ... ـهِ تَقِيّاً بِهِ عَلى كُلِ حالِ
فَاقضِ ما قَد نَذَرتَ لِلَّهِ وَاكفُف ... عَن دَمي أَن يَمَسَّهُ سِربالي
وَاشدُدِ الصَفدَ لا أَحيدَ عَنِ السِكّيـ ... ـنِ حَيدَ الأَسيرِ ذي الأَغلالِ
إِنَّني آلَمُ المَحَزَّ وَإِنّي ... لا أَمَسُّ الأَذقانَ ذاتَ السِبالِ
وَلَهُ مُديَةٌ تُخايِلُ في اللَحـ ... ـمِ هُذامٌ جَلِيَّةٌ كَالهِلالِ
جَعَلَ اللَهُ جيدَهُ مِن نُحاسٍ ... إِذ رَآهُ زَولاً مِنَ الأَزوالِ
بَينَما يَخلَعُ السَرابيلَ عَنهُ ... فَكَّهُ رَبُّهُ بِكَبشٍ جُلالِ
قالَ خُذهُ وَأَرسِلِ ابنَكَ ... إِنّي لِلَّذي قَد فَعَلتُما غَيرُ قالِ
قالَ خُذهُ وَأَرسِلِ ابنَكَ إِنّي ... لِلَّذي قَد فَعَلتُما غَيرُ قالِ
والِدٌ يَتَّقي وَآخَرُ مولو ... دٌ فَطارا مِنهُ يَسمَعُ فِعالِ

وفي هذا الخبر يتجلى ارتباط مؤرخ الخبر بالشاعر، وكيف استند الطبري إلى شعر أمية بن أبي السلط في إيراده الخبر، يقول في تاريخه: " رضي الغلام بالذبح ورضي الأب أن يذبحه. قال : يا أبت اقذفني للوجه كيلا

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

تنظر إلي فترحمني، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع، ولكن أدخل الشفرة من تحتي، وأمضي لأمر الله" [٢١:٢٧٥]، ثم يقول:" وقد قال أمية بن أبي الصلت في السبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبح ابنه شعرا، ويحقق بقيله ما قال في ذلك الرواية التي رويناها عن السدي ، وأن ذلك كان من إبراهيم عن نذر كان منه ، فأمره الله بالوفاء به"[٢١:٢٧٧]، ثم يورد القصيدة التي قالها الشاعر، ليدل على أن الشعر" جزء لا يتجزأ من كيان إنساني ينمو ويتطور، فيغرس آثاره وأحاسيسه في كل جانب من جوانب حياة العرب وفي كل رافد من روافد من روافد ثقافته وخبرته؛ لأن الأحداث التاريخية شكلت مادة رئيسة في قراءة الماضي وكشف أبعاده الحضارية، فإن الشعر واكب هذه الأحداث وأثر فيها تأثيراً واضحاً، فكان ذلك مثار اهتمام الباحثين ، فلا يخلو مصدر من مصادر التاريخ من استشهاد بالشعر، وموقف لشاعر، أو رجز انطلق من حرارة الأحداث ، فأسهم في تدوينها" [٢٣:١٠]، فالشاعر صاغ القصيدة بناء على الخبر، وحوله بالصياغة إلى أداة فاعلة في تأجيج قوة الحدث وصداها في النفس، والصراع بين الحياة والموت، والوفاء بالنذر، وجسد هذا بتوجيهات الابن لأبيه لكيفية الوضعية التي تخفف من مشهد القتل، واستطاع بالقصيدة أن يربط الشعر بهواجس النفس، وحمّل اللغة الإحساس ، فكانت القصيدة ، تنطلق من الحدث، ووقعه على الذات، بغية توضيح قيمة الوفاء، وبر الوالدين وطاعة الوالد. فالمرجعية التي شكلت القصيدة، هي مرجعية دينية واقعية، وظفها الشاعر، وهي قصة سيدنا إبراهيم مع ابنه وقصة النذر، والذين مصدر من مصادر الإلهام الشعري، يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً أدبية، والأدب بعامة يحفل بكثير من الأعمال الأدبية العظيمة، التي يكون محورها شخصية دينية أو موضوعاً دينياً، أو التي تأثرت بشكل أو آخر بالتراث الديني"[٢٤:٧٥] هذه القصيدة في النهاية وظفت الحدث عبر بقوة التصوير وصدق الشعور، في قالب شعري نابض بالحياة. فجاءت الألفاظ قوية واضحة، الصور مبتكرة، العاطفة عميقة، والرسالة السامية تصل بنسيج متماسك يجمع بين العقيدة والجمال الفني. ولكن تبقى القصيدة ترصد حدثاً واقعياً، يرتبط بالتاريخ الديني، الذي مس ركناً من أركان الدين، وجاءت دلالته مباشرة إذ سجل الحدث بواقعية الأسماء والحدث.

ونجد في شعر ابن الرومي صدى خراب البصرة جراء ثورة الزنج الاجتماعية في مرثيته، التي اكتنزت مضموناً تاريخياً، عكس فيها رؤيته الفكرية ومفهومه في إطار أدبي رسم فيها ملامح أحداث المأساة البصرية، وقد أورد الطبري أحداث الثورة وأسبابها [٢١:٤١٦]، ولكن ابن الرومي، لم يتعاطف مع الزنج، بل بالغ في مشاهد الخراب الذي نال عمران البصرة، الذي أتت عليه ثورة الزنج يقول ابن الرومي واصفاً وقع الحدث على نفسه:[٢٥: ٣٣٨-٣٤٢]

ذادَ عن مُقْلتي لذيذَ المنامِ شُغلها عنهُ بالدموعِ السجامِ

يعيش ابن الرومي الإنسان الحدث بكل أبعاده، وكيف انعكس في نفسه، وظهرت نتائجه في قلقه؛ فقد جفاه النوم، منشغلاً بالبكاء على ما أصاب البصرة، وهو بهذا يهيئ القارئ لأن يدخل المأساة من بابها.

أيُّ نومٍ من بعد ما حل بالبصْـــ رَةِ من تلكمُ الهناتِ العظام
أقــدم الخــائنُ اللعينُ عليهــا وعلى الله أيَّمــا إقــدام
لهفَ نفسي عليكِ أيَّتُها البصـــــ رةُ لهفاً كمثل لفحِ الضِّرام
لهف نفسي عليك يا معدن الخيــ رات لهْفاً يُعضّــُني إبهامي

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

لهف نفسي يا قُبَّةَ الإســـــــــــ لام لهفاً يطولُ منه غرامي
لهف نفسي عليكِ يا فُرضةَ البلــ دانِ لهفاً يبْقى على الأعوام
لهف نفسي لجمعكِ المتفاني لهف نفسي لِعزِّكِ المــُستضام
بينما أهلُها بأحسنِ حالٍ إذ رماهمْ عبيدُهمْ باصطلامِ
دخلوها كأنهم قِطع اللّيــ ــلِ إذا راحَ مُدْلَهمَّ الظلام

فالمدينة كانت معدن الخيرات وقبة الإسلام، تضج بالحياة، حتى فاجأها الهجوم المباغت، وقد فاضت القصيدة بمعاني العداء للزنج في سياق المبالغة الشعرية، التي طغت على الحقيقة التاريخية. ولعل مقصدية الشاعر من وراء مبالغته، هو التحريض على الثأر من صاحب الزنج، الذي قاد الطغاة، وارتكبوا الفظائع، وانتهكوا حقوق محارم الإسلام. فالشعر انحرف إلى أن يكون أداة فاعلة في تأجيج الحدث، وإذكاء الصراع.

وقد ابتعدت القصيدة عن الحقيقة التاريخية في ذكر أسباب الثورة والظلم الاجتماعي الواقع على العبيد، كون ابن الرومي انحاز للبصرة ضد الزنج فليست " المسألة بقراءة النص في ظل خلفيته التاريخية، ولا في استخدامه للإفصاح عن الحقب التاريخية ذات الأنماط المصطلح عليها؛ فالنص والتاريخ منسوجان، ومدمجان معاً كجزء من عملية واحدة" [١٧:٢٦]

ويحقق الشعر مكانته في الواقع ووجوده في بناء الإنسان الاجتماعي والنفسي، وساير مراحل بناء الدولة وحركيتها في الذات الإنسانية، فالشاعر عندما كان يدخل الحدث التاريخي في شعره، يقصد منه التعبر عن مشاعر الجماعة التي واكبت الحدث، وهذا ما ظهر في قصيدتي فتح عمورية والحدث الحمراء كما سيأتي في الدراسة.

قصد المعتصم بالله عمورية للثأر من اعتداءات البيزنطيين؛ مع أن المنجمين حذروه من حربها، لأن الهزيمة ستكون من نصيبه، وأن النصر لعدوه ، بالإضافة إلى ذلك أنها كانت يومئذ في أزهى أوقاتها، ولكن المعتصم أصرّ على الرد على اعتداءات الأمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس والانتقام منه، الذي تحيّن فرصة انشغال الخلافة العباسية بمشاكلها الداخلية، وارتكب الفظائع، وقد ارتبط تحرك الخليفة المعتصم للانتقام من البيزنطيين، بقصة المرأة التي استنجدت بالمعتصم، فغزاها انتاماً وأمر بحرقها وتدميرها [٢١:٥٨-٥٩]، وقد أورد المؤرخ تفصيلات كثيرة جداً، شكلت نواة الفكرة عند أبي تمام الذي خلد انتصارات العرب، وصور انعكاس أحداثها في نفسه إلى شفاء غليل الناس من الأمبرطور البيزنطي الذي أسرف في إذلال العرب.

أما صدى المعركة في ذات أبي تمام، نجد أن قراءته للأحداث، كانت قراءة جديدة مختلفة عما قدمته كتب التاريخ، يقوم على فهم المواقف والصراعات بين العرب والروم، فقدم رؤية للحدث التاريخي، تقوم على العزة العربية التي تأبى الضيم من زاوية نظر ثقافية وفكرية لها خصوصيتها في متابعة الأحداث والتأثير فيها.

يقول أبو تمام: [٢٧: ٣٢-٤٩]

يا يَومَ وَقعَةِ عَمّوريَّةَ انصرَفَت منكَ المُنى حُفَّلاً مَعسولَةَ الحَلَبِ
أَبقَيتَ جَدَّ بَني الإِسلامِ في صَعَدٍ وَالمُشرِكينَ وَدارَ الشِـركِ في صَبَبِ
ما رَبعُ مَيَّةَ مَعموراً يُطيفُ بِهِ غَيلانُ أَبهى رُبىً مِن رَبعِها الخَرِبِ
وَلا الخُـدودُ وَقَد أُدمينَ مِن خَـجَلٍ أَشهى إِلى ناظِري مِن خَدِّها التَرِبِ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أَبقَت بَني الأَصفَرِ المِراضِ كَاسِمِهِمُ صُفرَ الوُجوهِ وَجَلَّت أَوجُهَ العَرَبِ

هذا النداء يحمل معنى التغني والطرب لذكرها، وكأنها إنسان، يدعوه للمشاركة في أفراحه، وقد غيّر أبو تمام مفهوم النصر، فليس النصر على العدو فحسب، بل كان انتصار المعتصم انتصاراً للثقافة والحضارة العربية، ثم وصفها باليوم تعظيما لها، فجعلها يوماً من أيام العرب، ثم يستحضر صور عمورية، ويربطها بصور من أبهى صور التراث التي تحمل مشاعر الحب، فوجه عمورية الخرب أضحى أجمل بعينيه من وجه مي بعيني ذي الرمة، وغيّر أبو تمام في معايير الجمال، الذي يمثل انقلاباً في المشاعر، فيفاضل وفق مقاييس المنتصر بين منظرين: الوجه الحيي الذي يحمر خجلاً، وخد عمورية المعفر بالتراب، فالشاعر يتحدث بمشاعر المنتصر الذي صرفه النصر عن المرأة والحب، وغدا توجهه الكلي للنظر في الخراب الذي أصاب عمورية.

ووصف أبو تمام صف البطل الذي قاد العرب إلى النصر في هذه المعركة بأنه بطل تخطى في قوته حدود الطاقة الإنسانية، ليتحول إلى أسطورة، يقول في القصيدة:

لَم يَغزُ قَوماً وَلَم يَنهَـض إِلى بَلَدٍ إِلّا تَقَـدَّمَهُ جَيشٌ مِـنَ الرُعَبِ
لَو لَم يَقُد جَحفَلاً يَومَ الوَغى لَغَدا مِن نَفسِهِ وَحدَها في جَحفَلٍ لَجِبِ

نلحظ أن الشاعر في تخليده وقعة عمورية، لم يجرد الحدث عن ذاته، بل وظف المعركة بما انعكست في نفسه، لتخليد نصر العرب. لقد أظهرت القصيدة قدرة أبي تمام في جمعه بين الفكر والفن بتلازم الفكرة والصورة، وامتزاج الشعور بالوعي.

ونجد كذلك في شعر أبي فراس توظيفاً جمالياً للحدث التاريخي ملفتاً وفق مقصديته عبر ذكره شخصيات تاريخية توظيفاً فنياً يقوم على التركيز على الحدث الذي يتمحور حول الشخصية مراعياً الانسجام بين دلالات الشخصية وأبعاد تجربته الشعرية، وأدخلها بنية نصه محملة بدلالات فكرية ونفسية، تتلاءم مع السياق الدلالي العام لنصه، فتجاوز بذلك محدوديتها وفرادتها، ليخلق رؤية جديدة، تحوّل الشخصية التاريخية من سكونها إلى حركية زمنية تدخلها جوهر الإنسانية، فاختار الشخصيات بناء على تميزها وفاعليتها وقدرتها على استيعاب تجربته، و منحها أبعاداً تأويلية بالقدر الذي يخرجها من التأريخية، ويحفظ حقيقة وجودها في الوقت عينه، فأخضع بذلك التاريخي للفني، فتماهت الشخصيات في نسيجه الشعري، فكانت ضمن الدلالات التي ينتجها النص.

وعندما يطالع الدارس ديوان أبي فراس، يجد أن التاريخ قد احتل منظومة معرفية لها حضورها الفاعل في شعره، إذ شكلت الشخصيات التاريخية مرجعا معرفيا مهيمنا على خطابه الشعري في القصائد التي اخترناها، التي استلهم فيها شخصيات تاريخية وأدبية ووظفها في نصه بما تحمله من دلالات وإشارات أتاحت له توليد دلالات جديدة، وحملها رؤية فكرية، فعبرت عن واقع الشاعر وظروفه الراهنة، فهو عندما أورد قصة مالك بن نويرة لم يدخل في تفصيلاتها ولا ما أثارته من جدل على مدى التاريخ وإنما نظر إليها بمعادلة الحياة، إذ وظّف فيها المرأة التي تمد من يحبها بأسباب الحياة، فإذا بها تتحول إلى مانحة للموت بالحب، وهنا يتماهى التاريخ مع النص الشعري بإبداع الشاعر الذي يستخدم معارفه وثقافته في بنائه الشعري.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ولم يذكر أبو فراس الحدث مباشرة بل واراه خلف الشخصية، التي تختصر حدثاً كاملاً ، فكانت وسيلة أبي فراس للمعرفة، فعبره يذكّر سيف الدولة بشيء يعرفه، لذلك لجأ إلى التاريخ وإن لم يعاصره، بل وعاه، ليعبر عن حالاته الوجدانية الذاتية، لينقل دواخل نفسه التي لا يمكن أن تنقل إلا بالرمز؛ لينتج واقعاً جديداً، ولم يعمد إلى رموز جاهزة اصطُلح عليها من قبل وتعارف عليها الناس، وإنما ابتكر مصطلحه من حيث اختياره الموقف والحادثة والاسم، وجعلها رمزاً لقيمة متعارف عليها، بمعنى أنه شحن ما ابتكره بقوى دافعة تضاف إلى شحنتها الأولى، الأمر الذي جعلها تحمل مدلولا شخصياً ساعد في فهم تجربة الشاعر وعظم معاناته، فالتقت الدلالتان وكونتا مغزى عميقاً، وهذا ما مكنه من إنجاز مهمته الفنية والجمالية.

وقد حاول أبو فراس أن يجعل الرمز أشد التصاقاً بتجربته بانتقائها من التراث العربي وتحميلها بعداً دلالياً رمزيا، يمتد تاريخياً إلى فترات زمنية متفاوتة القدم ومضامين غنية، انتقل فيها من المحدودية إلى العموم لتستوعب قيمتها الرمزية بما يرمي إليه. فكان الرمز بذلك تعبيراً عن رغبته في إيداع أحكام مجردة في كيانات مجسدة بأشياء أو سلوكات محسوسة. [٨٩:٢٨].

وقد مثلت رموز أبي فراس خلاصة حياة مكتملة لأشخاص بعينهم، فجسد تجاربهم بكل شحنتها العاطفية بصورة مركزة مكثفة تحمل ذات الشحنة التي ميزت تلك التجربة، فكان الرمز وسيلته ليقرب المعنى على أساس المشابهة بين حالين. وبهذا كان التاريخ العربي رافداً من روافد التجربة الشعرية لديه، والشاعر عادة يستقي الشخصيات من التراث، و "يستعيرها من سياقها في الماضي ويدخلها في شعره تصريحا أو تلميحاً لفظاً أو معنى ويحملها في ذلك السياق دلالات جديدة، ومعاني أخرى (...) تضاف إلى ثراء الدلالة الأصلية في التراث، فيشف الرمز التاريخي –عندئذ– عن تجربة إنسانية واسعة، حاضرة وأزلية بحسب طاقة الشاعر التعبيرية وقدرته البيانية"[١٠٨:٢٩]. وقد التفت القدماء إلى مسألة الاسم الذي يورده الشاعر "عندما يشرع في غرض فيأتي لقصد تكميله وتأكيده بأمثلة في ألفاظ تكون عنواناً لأخبار متقدمة وقصص سالفة" [٢٥٧:٣٠]. فجعل الاسم عنواناً لقصة أو خبر مستمدان من التاريخ.

وتتشكل في قصيدة أبي فراس رمزية كبرى تشتمل على تفاصيل الرموز الجزئية لتحولها إلى رمز كلي غني بالدلالة، إذ تتجمع الدلالات من الشخصيات المذكورة في النص لتكوّن دلالة كلية، تحدد مقصدية النص، فتعينه في مواجهة مصيره تأسياً بغيره، يقول وقد جسد موقف الأسى واليأس بالشخصيات التي ذكرها في قوله [١٠١:٣١]:

إذا كانَ غيرُ اللهِ للمرءِ عدةٌ ، أتَتــْهُ الرّزَايَا مِنْ وُجُوهِ الفَوَائِدِ
فَقد جــَرّتِ الحَنفاءُ حتفَ حُذَيْفَةَ و كانَ يراها عدةً للشدائــدِ
وَجَرّتْ مــَنــَايَا مَالِكِ بــنِ نُوَيْرَةٍ عقيلتهُ الحسناءُ؛ أيامَ " خالدِ"
وَأَرْدى ذُؤاباً في بُيُوتِ عُتــَيْبَةٍ ، أبوهُ وأهلوهُ؛ بشدوِ القصائدِ
عسى اللهُ أنْ يأتي بخيرٍ؛ فــإنَّ لي عوائدَ منْ نعماهُ، غيرَ بوائدِ

بنى الشاعر معناه بتوظيفه شخصيات متعددة، يجمع بينها مصير مشترك ونهاية فاجعة، مثلت الفكرة التي يريد بثها للمتلقي، وهي: إتيان الموت من مصدر الحياة، وقدم معنى قادراً على استثارته من ناحية وعلى تحقيق مبتغاه

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

من ناحية أخرى، فاختار أسماء شخصيات تاريخية، ووظفها في نصه، وألبسها روح عصره وجعلها قابلة للتجدد في كل زمان ومكان بما يتوافق والمعنى الذي يربد إيصاله إلى المتلقي، فكانت تلك الأسماء المخزون الفكري لتجربته، الذي جعلها جزءاً من التجربة الإنسانية العامة، فما جرى لحذيفة بن بدر الفزاري ومالك بن نويرة، وما أحاط بأسباب هلاكهما قد استفاد منه الشاعر في إيجاد علاقة متخيلة بين الاسم ودلالة الحدث، ثم تجاوزها ليجعل الشخصية عامة، قد توجد في كل زمان ومكان. لذلك تجاوز ذكرُ الاسم الشخصيةَ المعنية ليكون ذكره لها رمزاً لحالات مماثلة. فالحنفاء فرس حذيفة بن بدر الفزاري، كان حافرها كبيرا جدا ولم ير حافر مثله، فلما كان يوم الهباءة انهزم حذيفة عليها، فلم يدر أين توجه. فقال قيس بن زهير: اتبعوا أثر الحنفاء، فتبعوه حتى لحقوه بماء الهباءة، فقتل هو وجماعة من أهله، وكانت الحفناء سبب قتله [٣٢: ٣٢١]، كذلك جاء بشخصية مالك بن نويرة مقروناً بزوجته التي منحته الحب والموت، إذ جاءه الموت بغتة من مأمن، لذلك لم يكن قادراً على تفاديه. وأورد خبر ذؤاب بن ربيعة قاتل عتيبة بن الحارث اليربوعي، وذلك أن بني يربوع أسروا ذؤابا ولم يعلموا أنه قاتل عتيبة، وباعوه من أبيه إلى وقت، فجاء أبوه، وتخلف اليربوعيون لمانع منعهم، فظن أبو ذؤاب أنهم قتلوه بعتيبة. فقال:

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

فبلغ اليربوعيين الشعر فقالوا: إنك لقاتل عتيبة؟ فقتلوه [٣٢: ٣٢١-٣٢٢]، ويسير النص وفق تضادات الحب والموت من أجل تكثيف دلالة المعاناة والمفارقة التي يعيشها في أسره بين صراع الذات مع الآخر الذي يستطيع منح الحب والحياة معاً، ولكن لايفعلها، لذلك انغلق نصه على مأساة مركبة من صور متعارضة، وهذا ما منح تجربته نوعا من الاقتراب من التجربة الحقيقية، فـ "التنافر والتعارض وسيلة ملائمة لتحقيق الاقتراب من التجربة"[٣٣:٥٦]. فالشاعر حاول إيجاد معادلاً لعلاقته مع سيف الدولة في التاريخ العربي، فوجد في الشخصيتين المذكورتين مبتغاه بعد تحرير دلالتهما، لتنسجم مع تجربته الآنية، فحولهما إلى رموز شخصية، ومن أجل ذلك لم يعن بحقيقة حروب الردة، ولم يكن عرض حقيقة الحادثة التاريخية بنافعة له في تفسير ماهية علاقته بسيف الدولة، لذلك ركز على العلاقة الواشجة بين طرفين؛ حذيفة وفرسه، و مالك بن نويرة وزوجته، و ذؤاب وأبيه، ثم أدخل كل طرف من الثنائيات بعلاقة متوترة مع الطرف الآخر، يُهلك أحد طرفيها الطرف الآخر، وهو الذي كان يظن أنها متعته في الحياة، وذلك ليضفي على القصة بعداً درامياً قادراً على تجسيد رؤيته إزاء الكون والحياة، فتحولت الشخصيات إلى طاقة رمزية تمد شعره بالعمق والثراء.

ولعل مقدرة أبي فراس تجلت في تحميل الأسماء التي استخدمها دلالات وجدانية أخرجتها من علمية التاريخ وأدخلتها دائرة الحس والوجدان، ووفر لها قيمة فكرية عالية، سما فيها الجانب الوجداني بتحليله الواقع والارتقاء به إلى مستوى الرمز. ولابد أن نشير إلى أن توظيف أسماء الأعلام التاريخية التراثية يمتلك حساسية" خاصة، لأن هذه الأسماء بطبيعتها تحمل تداعيات معقدة، تربطها بقصص تاريخية أو أسطورية وتشير قليلا أو كثيرا إلى أبطال وأماكن تنتمي إلى ثقافات متباعدة في الزمان والمكان" [٣٤: ٦٥]. وقد وعى أبو فراس هذا، ولذلك أحسن استخدامها.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وبعد تطاول الأسر بأبي فراس، انكسرت أحلامه بالحرية، وهذا ما أحدث تحولاً في ذاتيته، التي انحدرت من أقصى درجات التماسك والقوة والصلابة إلى إقراره باليأس من افتداء سيف الدولة له، فيجعل الخلاص من الأسر مقدراً بيد الله مهما تكن العوائق، وليعبر عن فكرته هذه لم يجد في اللغة ما يسعفه على التعبير عن معاناته إلا تجسيدها بقصة من التاريخ قوامها طرفان غير متكافئين؛ القوة والضعف، ولكن الضعيف يتفلت من قبضة القوي، ويحظى بحريته بتقدير من الله، فرمز لهذه الفكرة باسم عدي بن ربيعة والحارث بن عباد، يقول [١٠٢:٣١]:

وأفْلَتَ بعد الأسْرِ من كفِّ حارثٍ عديٌّ ولم يصفحْ له صفح عامدِ

فالحارث بن عباد كان مصمماً على قتل عدي بن ربيعة (المهلهل) بعد أن قتل ابنه بجيراً، ولكن الأقدار بعد أن ساقته إليه وقبض عليه، لم يتعرف إليه، فطلب منه الحارث أن يدله على عدي ويخلي عنه، فأخبره أنه هو بعد أن أخذ العهد عليه بتخلية أمره، فجزّ ناصيته وتركه [٩: ١٢٤]. وبذلك نجا المهلهل بأيسر السبل، ولم يصفح عنه الحارث، وإنما خلى عنه بعهد قطعه على نفسه.

ويقدم الشاعر في هذه النماذج الشعرية، تصورات لنهاية هيأ نفسه لها بإيراد الاسم، الذي تحول في هذه الأمثلة إلى رمز دال على نهايات مختلفة لرجال مروا بظروف متشابهة، ولعل في إيراد اسم الحارث بن عباد وعدي بن ربيعة محاولة منه لإخراج مسألة الفداء من يد سيف الدولة مجازاً؛ ليفهمه أن مصيره بيد القدر، الذي يمكن أن يهيئ له مخرجا.

ثم يستحضر صوراً أخرى من التاريخ الإسلامي، يرمز بها إلى مسألة الخذلان والتخلي والغدر محاولة منه للإحاطة بكل النهايات المتصورة للعلاقات الإنسانية بكثير من القسوة، فيذكر أن الغدر تصرف بشري، تدفع إليه مغريات الدنيا، فالأخ يغدر بأخيه طلبا لمتاع الدنيا، ولتأدية هذا المعنى فقد استعان أبو فراس بقصص التاريخ في قوله [٢٥٣:٣١]:

نعمْ، دعتِ الدنيا إلى الغدرِ دعوة، أجابَ إليها عالمٌ، وجهولُ
وَفَارَقَ عَمْـرُو بنُ الزّبَيرِ شَقِيقَهُ، وَخَلى أميرَ المُؤمنِينَ عَقِيلُ!

ليرمز إلى الغدر، فبنى الرمز على المطابقة الفنية بين عالمه الداخلي الذي تصطرع فيه مشاعر الخيبة واليأس من ناحية، والعالم الخارجي المتمثل بأخبار السابقين الذين تحملوا الغدر والخيانة من قبل ذويهم، الذين جرفتهم الحياة واستهوتهم، فغدروا، ولعل أبا فراس قد قصد هذه المطابقة، التي جاءت انعكاساً لوقع هذه الأشياء الخارجية في نفسه وتفاعله معها، فذكر أسماء ارتبطت بالخيانة، كعمرو بن الزبير، الذي فارق أخاه عبد الله، وكذلك عقيل ابن أبي طالب تخلى عن أخيه علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ابتغاء الدنيا ومتاعها، فجعل عمرو بن الزبير وعقيل وسيف الدولة من ناحية، وعبد الله بن الزبير وعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه– وأبو فراس في ناحية أخرى، وهما طرفان متناقضان، يمثلان المفارقة الكبرى في التاريخ، ويمثل كل طرف القيم المناقضة للأخرى، ومن تناقضهما ولّد أبو فراس رؤيته للعالم القائم على الخيانة، فاستسلم لإرادة الله وأدرك أن الغدر موجود في العالم منذ القديم.

فالإبقاء على أبي فراس في السجن، ينفتح على كثير من الاحتمالات والظنون، فما لقيه كل من علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير من أخويهما؛ من غدرٍ وخيانة، يتجاوب مع أسى أبي فراس وشعوره بالغدر والخيانة،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فيقدم نفسه معادلاً موضوعياً للمظلوم، ويترجم بذلك ثقل أحاسيسه بذكر القصة التاريخية وشخصياتها برؤية جديدة، ولذلك فهو لم يكن يصوّر واقعاً وإنما يصوّر رؤاه الخاصة، ولذلك لجأ إلى عمليات خفية لتمرير خطابه إلى الآخرين عن طريق الاستفادة من الشحنات المعرفية لتلك الرموز، فذكر اسم عقيل قد استثار تلك الصفة التي تميز بها حين فارق أخاه في أعقد الظروف، فكان سلوكه إزاءه قائم على التخيل، لأنه لم يخش ذكره، فالشخص عندما يغدو رمزاً، يعني اكتمال تجربته الحياتية، ومن ثم يغدو ذكْره نوعا من التفكير المبني على الخيال، ويشكل صوتاً له من الماضي، والشاعر عادة ينتقي الأصوات "التي تتجاوب معه والتي مرت ذات يوم بنفس التجربة وعانتها كما عاناها الشاعر نفسه" [٣٠٧:٣٥].

وقد يجتمع لدى الشاعر الحس التاريخي والحضاري والقومي، والقدرة على إعادة صياغة التاريخ والحدث بفنية عالية، ترتبط بالتاريخ والحدث وتستقل عنهما في الوقت عينه، والشاعر المتنبي استوعب التاريخ وفهم تحولاته، فالتقت عنده العبقرية الشعرية بالفعل التاريخي، فتجاوز الحدث إلى أبعاده الحضارية، ومع أن المتنبي عاش في عصر انحلال الدولة العربية، ولكنه استطاع تحويل الواقع السياسي المأزوم إلى رؤية شعرية فريدة. ففي قوله[٢٩٥:٣٦-٢٩٦].

وَقتٌ يَضيعُ وَعُمرٌ لَيتَ مُدَّتَهُ في غَيرِ أُمَّتِهِ مِن سالِفِ الأُمَمِ
أَتى الزَمانَ بَنوهُ في شَبيبَتِـهِ فَـسَرَّهُم وَأَتَيناهُ عَلى الهَرَمِ

فالشاعر بعبقريته الفذة يغوص في التاريخ، ويكشف تحولاته فيوازن بين أعمار الأمم والحضارات موازيا بينها وبين العمر الإنساني في طفولته وشبابه، فيقول بما معناه إن وقتي ضائع فيما بين أهل هذا القرن الذي أنا فيهم وعمري يذهب هدراً فيما بينهم، فليتني كنت قبل هذا الوقت فيما بين الأمم السالفة. فمن تقدم من سالف الأمم أدركوا الزمان في أول أمره فنالوا خيره. وأتيناه نحن في آخره فلم نجد إلا التعب والعناء. كولد الرجل إذا جاءوا في أول شبيبته انتفعوا بأبيهم، وكسب لهم الأموال وسرهم وأحسن إليهم، وإذا جاءوا له بعد الكبر والعجز والفقر، لم ينل ولده منه إلا الغم والحزن، وربما يموت الوالد فيبقي الولد يتيماً [٢٥٠:٣٧].

هذه الحتمية التاريخية في عمر الدول والإنسان تجاوزها المتنبي بخلق صور البطولة التي جسدت انتصار سيف الدولة على الروم محاولة منه لتخطي الواقع المزري الذي كانت تعيشه الدولة العربية من تفكك وانحلال. فأبدع في طريقة توظيف الحدث التاريخي في مدح سيف الدولة في صراعه مع الروم ومنها معركة "الحدث الحمراء" إذ انطلق من التأريخ للنصر المؤزر إلى صياغة جملة من السمات المدحية، التي أضفاها على الممدوح، فكانت قصائده تنظم على وقع الحروب لذلك عدت قصائده وثائق في غاية الخطورة لكتابة التاريخ السياسي والتحقيق الأدبي في عصر سيف الدولة. [٢٣١:٣٨].

فالشعر الذي دار حول الحروب كان شعراً في إطار التاريخ، ومظاهر من الحقائق في معارض من الأخيلة والعواطف فيرى الشعر، على صنع الخيال وتهويله، معرباً عن حقائق التاريخ، مبيناً عن طبائع الإنسان وأخلاقه، ومقاصده وعزائمه [٣٨].

وتعني "سمة التاريخية تعني كل ما يرتبط بالماضي زمنياً ودلالياً، فالمرتبط زمنياً أصبح جزءاً متحقّقاً من التاريخ، والمرتبط دلالياً يستمد مواصفاته من الذاكرة التاريخية بهذا فإنّ كافة الشخصيات الدينية والأسطورية،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

والأدبية، والفلكلورية، تنسحب عليها صفة التاريخية" [٣٩: ١٠]، فالشخصية التاريخيّة في الشعر تقوم بوظيفة دلالية ورمزية، حيث تميل إلى إضفاء الطابع الواقعي والتوثيقي على التاريخ المروي، وفي الوقت نفسه تسعى إلى التماهي مع الواقع، بمحاولة رسم شخصية نمطية. [٤٠: ٩٩]، والشاعر عادة ما يكمّل الحدث التاريخي عن طريق توظيفه لأكثر من شخصيّة، إذ يعتمد على عدّة شخصيات بينها قواسم مشتركة.

وتعد معركة الحدث الحمراء حدثاً تاريخياً مهماً ، فقد كانت من أشهر معارك سيف الدولة مع الروم، التي حقق فيها سيف الدولة انتصاراً كبيراً ومدوياً، والحدث قلعة قديمة على حدود بلاد الشام مع الدولة البيزنطية، دمرها وأحرقها القائد البيزنطي الدمستق فردس فوقاس، فقرر الأمير سيف الدولة استرجاعها وإعادة ترميم حصونها وجدرانها، ليجعل منها قاعدة عسكرية متقدمة لقواته، ويمنع البيزنطيين من الاستفادة منها واستغلالها ضد المسلمين، وعندما كان سيف الدولة منهمكاً مع قادته وجيشه وعماله في بناء حصون القلعة تقدم القائد البيزنطي نحو القلعة بجيش ضخم من اليونان والبلغار والصقالبة والروس والأرمن، زاد عن خمسين ألفاً بين فارس وراجل وعندما وصل الجيش البيزنطي إلى أرض المعركة، أعطى القائد أوامره بمحاصرة قلعة الحدث، ثم كانت المعركة الفاصلة التي انتصر فيها سيف الدولة[٤١: ٢٤٢-٢٤٣]. هذا هو الخبر التاريخي في حقيقته، أما تجليه في الشعر فكان ملحمة تؤرخ للحدث بلغة الشعر الذي أبدع فيها المتنبي في نسج سمات البطولة على سيف الدولة إضافة إلى توثيقها الحدث بكثير من الدقة، إذ جسدت قصيدة الحدث الحمراء الصراع بين العرب والروم، وخلدت سيرة البطل سيف الدولة الذي جاز حدود صور الممدوحين في أدبنا العربي. يقول المتنبي [٣٦: ٩٤-١٠٨]:

يُكَلِّفُ سَيفُ الدَولَةِ الجَيشَ هَمَّهُ وَقَد عَجَزَت عَنهُ لجُيوشُ الخَضارِمُ
هَلِ الحَدَثُ الحَمراءُ تَعرِفُ لَونَها وَتَعلَمُ أَيُّ الساقِيَينِ الغَمائِمُ
سَقَتها الغَمامُ الغُرُّ قَبلَ نُزولِهِ فَلَمّا دَنا مِنها سَقَتها الجَماجِمُ
بَناها فَأَعلى وَالقَنا تَقرَعُ القَنا وَمَوجُ المَنايا حَولَها مُتَلاطِمُ
وَلَستَ مَليكاً هازِماً لِنَظيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَوحيدُ لِلشِركِ هازِمُ

فالشاعر يؤرخ للحدث، ولكن وفق رؤيته، فيرى أن النصر معقود بسمات سيف الدولة، مما يعني ارتباط القصيدة بالتاريخ دلالياً، فمعركة الحدث الحمراء معركة حامية الوطيس تفوح برائحة الدماء، تحولت وظيفاً إلى رؤية جمالية تبعث على المتعة لدى قراءتها، فجسدت القصيدة مفهوم تحول التاريخي إلى الشعرية إذ جعلت الحادثة نابضة بالحياة على امتداد تاريخنا، فباهتزاز الشاعر للنصر العظيم، أخرج الحدث من محدودية النصر المقصور على معركة واحدة إلى انتصار لثقافة الأمة وحضارتها، فخرج من محدودية ما حدث إلى مايمكن أن يحدث.

ولعل توظيف الحدث التاريخي في شعر المتنبي غير في الخطاب الموجه للممدوح، وأخرجه من دائرة البشر كما في قول المتنبي:

تجاوَزْتَ مِقدارَ الشّجاعَةِ والنُّهَى إلى قَوْلِ قَوْمٍ أنتَ بالغَيْبِ عالِمُ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فالشاعر هنا يشكل صورة مطلقة للبطل، ترمز إلى القدرة والإرادة والفعل، فهو كائن خارق، يتجاوز أفعال البشر العاديين ولذا أدخله الأسطورة، وتحول عن الخطاب، الذي كان سائداً من قبل، فالشعراء كانت تنعت ممدوحيها بالشجاعة والعقل بوصفهما سمتين للبطل الدنيوي، أما المتنبي، فقد أخرج بطله من دائرة البشرية إلى العلم بالغيب.

٤. الخاتمة

يمكننا القول استِناداً إلى ما قدمناه : أن علاقة الشاعر بالتاريخ ، يتجاوز الحقائق إلى التعبير عن رؤيته الخاصة للتاريخ، فالشعراء، الذين اعتمدوا على المادة التاريخية عندما ضمنوا في أشعارهم شخصيات وأحداثاً تاريخية، ومن ثم أعادوا إنتاجها منحازين للإنسان، بشكل عمق دلالة الحدث، وابتعد به عن الإخبار والتقريرية، ونحا به إلى التشكيل الجمالي، فما ورد من أحداث في شعر الشعراء حافظوا فيه على الإطار التاريخي للحدث، واتخذوا منه وسيلة تعبيرية وإيحائية للتعبير عن رؤيتهم لينتجوا دلالة شعرية تتناسب ما يريدون التعبير عنه.

إن نظرة الشاعر أكثر عمقاً من المؤرخ، كونه يوزع نظره بين الداخل والخارج، وينظر فيما وراء الحدث، ويعيشه، وينصهر معه، ليخرج منه ما يكتنزه.

لقد جرى الحدث التاريخي في نسغ شعر الشعراء الذين درسنا نماذج من شعرهم، وأورق دلالات فنية وجمالية آثرة، مشحونة بالدلالات والإيحاءات التي تتناسب مع الموقف الشعوري الذي عاناه الشاعر، وقد تنوع حضور الحدث التاريخي لدى هؤلاء الشعراء بين دلالاته الحقيقية، وبين دلالاته الإيحائية، وفي كلتا الحالين كان الشاعر يزيد على الخبر التاريخي التأثير الذي تمتاز به البنية الشعرية.

وأخيراً لابد من أن نذكر أن الشعر العربي بذكره الحدث التاريخي، قدم محتوى معرفياً مهماً أعطى صورة عن التاريخ العربي كما يجب أن تكون.

ويمكن لنا أن نصطلح على تسميته أدب المعارك والأحداث التاريخية، وهو الذي تزامن مع وقوع الحدث، وساير أحداثَها، ودخل في نسجها وحيثياتها، ولذا نستطيع تأكيد وجود علاقة وطيدة الحدث والشعر، فالشعر يوثقها، ويقدمها للقارئ في أي زمان للتمثل بها وللعظة والعبرة. فالفرق بين الخطابين هو أن الشعر تعبير جمالي تخييلي لا يخضع لمنطق السببية كما التاريخ.

CONFLICT OF IN TERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر والمراجع

[١] شكري عزيز ماضي. في نظرية الأدب. ط١. بيروت: المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر،(٢٠٠٥).
[٢] أرسطو. فن الشعر. ترجمة عبد الرحمان بدوي، بيروت: دار الثقافة، (د.ت).
[٣] ابن سلام الجمحي. طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني، (د.ت).
[٤] ابن قتيبة. عيون الأخبار. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٣).
[٥] التبريزي. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام. بيروت: عالم الكتب، (د.ت).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٦] فرانزر وزنثال. علم التاريخ عند المسلمين. ترجمة: صالح أحمد العلي، مراجعة: محمد توفيق حسين، بغداد: مكتبة المثنى ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،(١٩٦٣).
[٧] ابن طباطبا. عيار الشعر. تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، المملكة العربية السعودية: دار العلوم للطباعة والنشر،(١٩٨٥).
[٨] الأعشى. ديوان الأعشى الكبير "ميمون بن قيس ". تحقيق: إبراهيم محمد رضوان، ط١، قطر: وزارة الثقافة والفنون والتراث،(١٩٨٣).
[٩] ابن الأثير. الكامل في التاريخ تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة. تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط١، بيروت: دار المعرفة العلمية،(١٩٨٧).
[١٠] ابن أبي الأصبع. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تحقيق: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة: لجنة إحياء التراث الإسلامي،(١٩٦٣).
[١١] كارل بروكلمان. تاريخ الأدب العربي. ترجمة: عبد الحليم النجار، ط٤، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).
[١٢] أبو هلال العسكري. الأوائل. ط٧، لبنان: دار الكتب العلمية،(١٩٨٧).
[١٣] محمود شكري الألوسي. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب. عني بشرحه وتصحيحه: محمد بهجة الأثري، ط٢ القاهرة: دار الكتاب المصري،(د.ت).
[١٤] قطبة بن أوس الحاردة. ديوان شعر الحادرة: إملاء أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي. *مجلة معهد المخطوطات العربية*، المجلد/١٥، العدد/٢، (١٩٦٩).
[١٥] النابغة. ديوان النابغة الذبياني. اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، ط٢، لبنان: دار المعرفة، (٢٠٠٥).
[١٦] محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. أيام العرب في الجاهلية. بيروت: المكتبة العصرية، (د.ت).
[١٧] المهلهل. الديوان. ط١، شرح وتحقيق: أنطوان محسن القوال، بيروت: دار الجيل، (١٩٩٥).
[١٨] زهير ابن أبي سلمى. ديوان زهير بن أبي سلمى. شرحه وقدم له: على حسن فاعور. ط١، لبنان: دار الكتب العلمية، (١٩٨٨).
[١٩] ياقوت الحموي. معجم البلدان. بيروت: دار صادر، (١٩٩٣).
[٢٠] المتلمس الضبعي. ديوان المتلمس الضبعي. تحقيق: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية: معهد المخطوطات العربية. (١٩٧٠).
[٢١] الطبري. تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٢، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).
[٢٢] أمية بن أبي الصلت. ديوان أمية بن أبي الصلت. جمعه وحققه وشرحه: سجيع جميل الجبيلي. ط١، لبنان– بيروت: دار صادر، (١٩٩٨).
[٢٣] قيس كاظم الجنابي. أثر الشعر في تدوين الأحداث التاريخية في العصر الأموي. ط١، القاهرة: دار الآفاق العربية، (٢٠٠٧).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٢٤] علي عشري زايد.استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي. (د.ط)، القاهرة: دار الفكر العربي، (١٩٩٧).

[٢٥] ابن الرومي.ديوان ابن الرومي.شرح أحمد حسن بسج،ط٣،لبنان–بيروت:منشورات دار الكتل العلمية، (٢٠٠٢).

[٢٦] عبد الله محمد الغذامي. النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية. ط٣، المملكة المغربية–الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، (٢٠٠٥).

[٢٧] يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي. شرح ديوان أبي تمام الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، ط٢، دار الكتاب العربي، (١٩٩٤).

[٢٨] سعيد بنكراد. "الترميز السياسي والهوية البصرية: قراءة في رموز الأحزاب السياسية المغربية". *مجلة علامات*، المغرب، العدد/١٩. ص ص (٨٧– ١٠٢)، (٢٠٠٣).

[٢٩] سهيلة يوسفي. "الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة قراءة في الشكل–خليل حاوي أنموذجا". رسالة دكتوراة، جامعة الجيالللي اليابس، الجزائر، (٢٠١٧).

[٣٠] ابن أبي الأصبع المصري. بديع القرآن. تقديم وتحقيق: حفني محمد شرف. مصر: نهضة مصر، (د.ت).

[٣١] أبو فراس الحمداني. ديوان أبي فراس. تحقيق: خليل الدويهي، ط٢، لبنان: دار الكتاب اللبناني، (١٩٩٤).

[٣٢] معصوم المدني.أنوار الربيع في انواع البديع. تحقيق: شاكر هادي شكر، ط١، العراق: مطبعة النعمان، (١٩٦٦).

[٣٣] آمنة بلعلي. أثر الرمز في بنية القصيدة العربية المعاصرة. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، (١٩٩٥).

[٣٤] محمد علي كندي. الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث السياب ونازك والبياتي. ط١، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، (٢٠٠٣).

[٣٥] عز الدين إسماعيل.الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية.بيروت:دار الفكر العربي، (د.ت).

[٣٦] البرقوقي. شرح ديوان المتنبي. ط٢، لبنان: دار الكتاب العربي، (١٩٨٦).

[٣٧] أبو العلاء المعري. شرح ديوان أبي الطيب المتنبي" معجز أحمد". تحقيق ودراسة عبد المجيد الغزالي، ط٢، القاهرة: دار المعارف، (١٩٩٢).

[٣٨] زكي المحاسني. شعر الحروب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة. بيروت: دار الفكر العربي، (د.ت).

[٣٩] سامح الرواشدة. القناع في الشعر العربي الحديث. الأردن: مطبعة كنعان، (١٩٩٥).

[٤٠] سعيد سهمي. التراث التاريخي في رواية سرقسطة للمطلودي شغموم. *مجلة الذاكرة*، العدد/ ٨، (٢٠١٧).

[٤١] ابن العديم الحلبي. بغية الطلب في تاريخ حلب. تحقيق: سهيل زكار، ط١، بيروت: دار الفكر، (١٩٨٨).

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq